مقدمـــة

الحمد لله الذي أنزل القرآن هدى ورحمة للعالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي بين للناس ما نزل إليهم من ربهم، وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه في تلاوة القرآن وتبيين معانيه، وبعد.

فإن علم التفسير علم جليل القدر وعظيم المنزلة لتعلقه بكلام الله تعالى ومحاولة تبيين معانيه على قدر الطاقة البشرية، وقد تعددت مناهج المفسرين، وتنوعت طرائقهم في محاولة تيسير وتقريب فهم كلام الله، وكانت إحدى وسائل تبيين المعنى وتوضيحه ذكر أوجه القراءة المتعددة، وتفاوتت مناهج المفسرين في هذا الأمر، فمنهم من كان يحرص على تتبع أوجه القراءة مهما كثرت، ويضم الشاذ إلى المتواتر دون تفريق بينهما، مع عزو القراءة إلى من قرأ بها أو نسبت إليه، والاستشهاد بها لتوضيح المعنى أو لترجيحه أو لزيادة معنى جديد من خلال القراءة، ومن المفسرين من كان يفاضل بين القراءات ويرد بعضها أو يردد نقدها وتضعيفها، ومنهم من كان يهمل ذكرها مكتفيا بأحد أوجه القراءة، والتزم بكل من هذه المناهج عدد من المفسرين وكان لها تأثيرها الواضح في تفاسيرهم.

وسأعرض في هذا البحث أهمية ذكر القراءات في كتب التفسير وفوائدها، ومناهج عدد من المفسرين في ذكر القراءات والاستعانة بها على التفسير، والله تعالى أسأل أن أكون قد

* رئيس قسم أصول الدين، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية. akshukri@maktoob.com

وفقت في هذا العرض، وأن يجزي الإخوة القائمين على هذا المؤتمر خير الجزاء حيث أتاحوا لنا من خلاله فرصة البحث والالتقاء والتعارف والحوار العلمي الجاد الهادف إلى خدمة الكتاب العزيز.

المبحث الأول: أهمية ذكر القراءات في كتب التفسير وفوائدها:

عد العلماء معرفة أوجه القراءة أحد العلوم المهمة للمفسر، ولا يقتصر أثر العلم بالقراءات عند المفسر على ضبط هذه الأوجه وفهمها وإتقان أدائها، فهذا الجانب لا علاقة له بالتفسير، بل يتعداه إلى معرفة الاختلاف الحاصل في المعنى بسبب اختلاف القراءات، ولذا كان معظم المفسرين يكتفون بإيراد ما له علاقة أو تأثير في المعنى من أوجه القراءة ويتركون ما عداه[1]، كما كانوا يذكرون الشاذ من القراءات كما يذكرون المتواتر منها ويستشهدون بهما على حد سواء.

ويعود اعتناء المفسرين بالقراءات ورجوعهم إليها لتوضيح المعنى وتبيينه إلى العصر الأول، ويؤكد ذلك روايات عديدة عن الصحابة والتابعين احتجوا فيها بالقراءة لتأكيد المعنى أو ترجيحه أو تبيينه أو التنبيه إلى اختلاف المعنى بسبب اختلاف القراءة، ونبه السيوطيُ المفسرَ إلى أنه قد يرد عن السابقين تفسيران مختلفان في الكلمة الواحدة فيظن ذلك اختلافا وليس باختلاف، وإنما يكون كل تفسير بناء على قراءة[2]، ومن أمثلته ما ورد عن قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ [الحجر:١٥] أنه قال"من قرأ ﴿سُكّرت﴾ مشددة فإنما يعني: سدّت، ومن قرأ: ﴿سُكِرت﴾ مخففة[3] فإنه يعني: سحرت"[4]، وعلّق السيوطي على هذه العبارة بقوله: "وهذا الجمع من قتادة نفيس بديع"[5].

---

١ أشار إلى هذا عدد ممن بحث في القراءات وأثرها في التفسير، وللاطلاع على الأمر أكثر ينظر: د. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، **قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل**، دار القلم، دمشق، ط الثانية، ١٩٨٩م، ص ٧٠٩-٧٥٢؛ محمد عمر با زمول، **القراءات وأثرها في التفسير والأحكام**، دار الاهجرة، الرياض، ط الأولى، ١٩٩٦م، ص ٣٦٩-٩٣٠.

٢ السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م، ٢٢٢/٤.

٣ قرأ بالتخفيف ابن كثير، وبالتشديد الباقون (ينظر: القباقبي، **إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز في القراءات الأربع عشرة المتواترة**، تحقيق: د. أحمد خالد شكري، دار عمّار، عمّان، ط الأولى ٢٠٠٣م، ، ص ٤٧٧).

٤ ابن جرير، **جامع البيان**، مصطفى البابي الحلبي، ط الثالثة، ١٩٦٨م، ١٢/١٤.

٥ السيوطي، **الإتقان**، ٢٢٢/٤.

ومن أمثلته أيضا ما ورد عن الحسن أنه فسر القطران في قوله تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ﴾ [إبراهيم:٥٠] بأنه الذي تمنأ[١] به الإبل، وروي عنه وعن غيره أنه النحاس المذاب[٢]، وعلق السيوطي على هذا الاختلاف بأنهما ليسا قولين، فإن القول الثاني على القراءة الشاذة المنسوبة لعلي وابن عباس وأبي هريرة والحسن البصري وابن سيرين[٣]: ﴿قطرٍ آن﴾ بتنوين قطر وهو النحاس، و﴿آن﴾ أي شديد الحر[٤].

واستمر المفسرون بعدهم على هذا المنهج، وظهر بينهم تفاوت في الموقف من القراءة، ففي حين قبلها بعضهم وسلموا بها، وعدوها أساسا بنوا عليه المعنى أو الترجيح فيه، كانت مواقف غيرهم مباينة لهذا الموقف، وإن تفاوتت في نسبة البعد عنه، ولعل أبعدها موقف من أطلق لقلمه العنان في أن يخطّىء القراء ويرد عليهم بعبارات قاسية جارحة.

وذكر المؤلفون في مناهج المفسرين أن اختلاف القراءات هو أحد أسباب اختلاف المفسرين، وأوردوا في مقام تبيين هذا السبب وتوضيحه العديد من الأمثلة التي تؤكده[٥].

ونص عدد منهم على ضرورة اقتصار التفسير على القراءات المتواترة فقط وعدم تجاوزها إلى الشاذ، في حين كان منهج معظم المفسرين ذكر القراءة الشاذة والاستعانة بها على التفسير والترجيح[٦].

---

١ أي تطلى جلودها بالقطران –وهي مادة تستخرج من الشجر وتطبخ– على سبيل العلاج من الجرب، وهي مادة سريعة الاشتعال (ينظر: السمين الحلبي، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تحقيق د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط الأولى ١٩٩١م، ١٣٢/٧).

٢ ابن جرير، **جامع البيان**، ٢٥٦/١٣.

٣ ينظر في نسبة القراءة: أبا حيان، **البحر المحيط**، مطابع النصر، الرياض، ٤٤٠/٥، ود. عبد العال سالم مكرم ود. أحمد مختار عمر، معجم القراءات القرآنية، جامعة الكويت، ط الأولى، ١٩٨٢م، ٢٤٤/٣.

٤ السيوطي، **الإتقان**، ٢٢٢/٤ و٢٢٣.

٥ ينظر على سبيل المثال: أ– د. محمد حسين الذهبي، **التفسير والمفسرون**، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط٢، ١٩٧٦م، ٤٠/١–٤٤. ب– د. سعود الفنيسان، **اختلاف المفسرين أسبابه وآثاره**، دار إشبيليا، الرياض، ط١، ١٩٩٧م، ص٥٩–٩٢. ج– د. فضل حسن عباس، **التفسير أساسياته واتجاهاته**، مكتبة دنديس، عمّان، ط١، ٢٠٠٥م، ص ٢٧٨–٢٨٤. د– د. صلاح الخالدي، **تعريف الدارسين بمناهج المفسرين**، دار القلم، دمشق، ط١، ٢٠٠٢م، ص ٢٦٨–١٧٢. هـ– خالد عبد الرحمن العك، **أصول التفسير وقواعده**، دار النفائس، بيروت، ط٣، ١٩٩٤م، ص ٨٦.

٦ آثرت في هذا البحث السير مع جمهور المفسرين في الاستدلال بالقراءة الشاذة والاستعانة بها على التفسير، مع مراعاة أن منزلتها قطعا ليست بمنزلة القراءة المتواترة، وتحمل على أنها قول الصحابي أو التابعي الذي تروى عنه (للتوسع في حكم الاحتجاج بالقراءة الشاذة ينظر: د. أحمد خالد شكري، **أسباب وجود القراءات الشاذة**، بحث منشور في مجلة دراسات التي تصدرها عمادة البحث العلمي في الجامعة الأردنية، المجلد ٢٨، العدد ٢، ٢٠٠١م، ص ٤٣٦–٤٣٨.)

كما ذكر العلماء أن لاختلاف أوجه القراءة فوائد عديدة، رأيت أن أقتصر منها هنا على ما له علاقة بالتفسير، ومنها:

١- إثراء المعنى وتوسيعه، وتنوع أوجه التفسير بسبب اختلاف القراءة، وعبر عنه ابن الجزري بقوله: "إظهار نهاية البلاغة وكمال الإعجاز وغاية الاختصار وجمال الإيجاز".

٢- ترجيح تفسير بعينه على غيره.

٣- الجمع بين قولين مختلفين بمجموع القراءتين، فتنزل القراءة منزلة الآية وتكون دلالة القراءة على المعنى عاضدة للقراءة الأخرى.

٤- دفع توهم ما ليس مرادا، ورد الفهم الخطأ للآية، وإزالة الإشكال.

٥- بيان المجمل وتوضيح الغريب وتقييد المطلق

٦- الدلالة على حكمين شرعيين مختلفين، أو الجمع بينهما، أو ترجيح حكم مختلف فيه، أو إيضاح حكم يقتضي الظاهر خلافه، أو بيان حكم مجمع عليه.

إلى غير ذلك من الفوائد العديدة[١].

والأمثلة التي يمكن إيرادها لهذه الفوائد كثيرة، وسأقتصر هنا على ذكر بعض الأمثلة المتعلقة بالفائدة الأخيرة وأترك ما عداها للمبحث الثاني حيث سيرد فيه العديد من الأمثلة لكل واحدة من هذه الفوائد.

ويمكن تقسيم أمثلة هذه الفائدة من فوائد اختلاف القراءات حسب التفصيل المذكور فيها إلى الجوانب التالية:

١- الدلالة على حكمين شرعيين مختلفين: يمثل له باختلاف القراءات في قوله تعالى ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٩٦] حيث قرأ العشرة ﴿والعمرة﴾ بالنصب عطفا على الحج، وقد استنبط بعض المفسرين[٢] منه وجوب العمرة[٣]، كما استنبطوا وجوب

---

١ ممن ذكر هذه الفوائد وغيرها: أ- ابن الجزري، محمد بن محمد، **النشر في القراءات العشر**، تصحيح: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، ١/٥٢-٥٤. ب- د. محمد سالم محيسن، **المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة**، ط المدينة المنورة ١/٧٩-٨٢. ج- د. محمد عمر با زمول، **القراءات وأثرها في التفسير والأحكام**، ١/١٨٠-١٩٢. د- سفيان موسى خليل، **القراءات القرآنية وتوجيهها في تفسير الرازي**، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٣م، ١٧١ و١٨٣-١٨٤.

٢ معظم المفسرين على عدم استنباط وجوب العمرة من القراءة المتواترة (ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مطبعة دار الكتب، مصر ٢/٣٦٩).

٣ ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، المكتب الإسلامي، ط الرابعة، ١٩٨٧م، ١/٢٠٤.

العمرة من القراءة الشاذة المنسوبة إلى علقمة: {وأقيموا الحج والعمرة لله}[1]، ومن القراءة الشاذة المنسوبة إلى علي بن أبي طالب وابن مسعود: {وأقيموا الحج والعمرة للبيت}[2]، ومن القراءة الشاذة المنسوبة لابن مسعود: {وأقيموا الحج والعمرة إلى البيت لله}[3]، وممن قال بوجوب العمرة من الأئمة الشافعي وأحمد، وتدل القراءة الشاذة المنسوبة إلى نافع وأبي عمرو والكسائي عن أبي جعفر والحسن والشعبي: ﴿والعمرةُ﴾ بالرفع[4] على عدم الوجوب لعدم عطفها على الأمر[5].

٢- الجمع بين حكمين شرعيين ولكن في حالين مختلفين، كما في آية الوضوء حيث وردت قراءتان متواترتان في لفظ: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [المائدة:٦] هما: بالنصب عطفا على المغسول، وبالجر عطفا على الممسوح[6]، وبيّنت السنة أن المسح يكون في حال لبس الخف، فكل قراءة هنا أفادت حكما في حال[7].

٣- ترجيح حكم مختلف فيه، كما في قوله تعالى: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المائدة:٨٩] بزيادة صفة: {مؤمنة} وهي قراءة شاذة لم تنسب لأحد من القراء، وفيها ترجيح اشتراط الإيمان في الرقبة، وهو مذهب بعض أهل العلم[8].

٤- إيضاح حكم يقتضي الظاهر خلافه، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة:٩] حيث توهم هذه القراءة التي أجمع عليها القراء العشرة أن المراد: السرعة في المشي إلى الصلاة، إلا أن القراءة الشاذة المروية عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وابن الزبير وأبي بن كعب: {فامضوا}[9]

---

١ أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي، **البحر المحيط**، ٧٢/١.

٢ السيوطي، **الدر المنثور**، ٥٠٣/١.

٣ القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ٣٦٩/٢.

٤ القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ٣٦٩/٢، وأبو حيان، البحر المحيط، ٧٢/٢.

٥ للتوسع في بحث المسألة ينظر: بازمول، **القراءات وأثرها في التفسير والأحكام**، ٤٧٥/٢.

٦ قرأ نافع وابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب بالنصب، وباقي العشرة بالخفض (ينظر: القباقبي، **إيضاح الرموز**، ص ٣٥٧).

٧ د. عزت شحاتة كرار، **أثر القراءات القرآنية في استنباط الأحكام الفقهية**، مؤسسة المختار، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م، ص ٢٩.

٨ ابن الجزري، **النشر**، ٢٩/١.

٩ السيوطي، **الدر المنثور**، ١٦١/٨ و١٦٢، وللتوسع في الوقوف على مظان ذكر ونسبة هذه القراءة ينظر: بازمول، **القراءات وأثرها في التفسير والأحكام**، ١٨٩.

توضح أن المراد بالسعي المضي وليس العجلة، كما أن الحديث الشريف وهو قوله صلى الله عليه وسلم: "إذا ثوب بالصلاة فلا يسع أحدكم ولكن ليمش وعليه السكينة والوقار"[1] يقوي دلالة الآية على أن المراد بالسعي في القراءة المتواترة المبادرة إلى الحضور والتبكير إلى الصلاة حتى لا يضطر المصلي إلى العجلة بسبب التأخر مما يفقده السكينة والوقار المطلوب وجودهما عند المسلم.

٥- بيان حكم مجمع عليه: كما في القراءة الشاذة المنسوبة إلى سعد بن أبي وقاص في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾ [النساء:١٢] بزيادة: {من أم} بعد: ﴿وله أخ أو أخت﴾، وتروى عن أبي: {من الأم} بالتعريف[2]، حيث بينت هذه القراءة أن المراد بالإخوة في هذا الحكم الإخوة للأم دون الأشقاء ودون من كانوا إخوة لأب، وهذا أمر مجمع عليه[3].

وفي كتب التفسير والفقه والقراءات وغيرها أمثلة أخرى[4].

ومع التتبع لفكرة إيراد القراءات والاستعانة بها على التفسير يلحظ المراقب اتجاها يكاد يعم المفسرين المعاصرين، وهو ندرة ذكر أوجه القراءة أو انعدامه تماما، والاقتصار على التفسير وفق الرواية المنتشرة بين عامة الناس، ولهذا الاتجاه في التفسير أسبابه ودوافعه العديدة، ومنها: انحصار الروايات الشائعة بين العامة في رواية حفص عن عاصم عند أغلب المسلمين، ورواية ورش أو قالون عن نافع عند نسبة قليلة منهم، ورواية الدوري عن أبي عمرو عند نسبة أقل، وانحسار الروايات الأخرى[5]، مما أدى إلى اقتصار معظم المفسرين على الالتزام بالتفسير وفق الرواية التي تعرفها العامة تيسيرا عليهم ورفعا لما يخشى من إشكالات بسبب ذكر أوجه القراءة.

---

١ رواه مسلم في **صحيحه**، كتاب المساجد، باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة.

٢ أبو حيان، **البحر المحيط**، ١٨٩/٣ و١٩٠.

٣ القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ٧٨/٥، وابن المنذر، **الإجماع**، ٨٢.

٤ للمزيد من الأمثلة ينظر: أ- د. محمد الحبش، **القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية**، دار الفكر بدمشق، ط الأولى ١٩٩٩م، (وهي رسالة دكتوراه)، ، ص ٢٤٣-٣٥٩. ب- د. محمد عمر با زمول، **القراءات وأثرها في التفسير والأحكام**، ص ١٨٦-١٨٩ و٤١٩ و٤٨١ و٥١٢-٥٢٢ و٧٥٢ وغيرها. ج- د. عزت شحاتة كرار، **أثر القراءات القرآنية في استنباط الأحكام الفقهية**، ص ٢٤-١٠٦.

٥ أ- محمد الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، ٦٣/١. ب- د. أحمد القضاة، ود. أحمد شكري، ود. محمد منصور، **مقدمات في علم القراءات**، دار عمّار، عمّان، ط١، ٢٠٠١م، ص٦٣.

وقد يكون سبب اقتصار بعض المفسرين على رواية واحدة، عدم علمهم بالروايات الأخرى، فقد كتب في التفسير من المعاصرين أشخاص لا علم لهم بالقراءات ومدى أهمية ذكرها، وقد يكون الأمر أسوأ من ذلك عند بعضهم ممن قصد تحريف المعاني والإساءة المتعمدة للتفسير بأسلوب مباشر أو مُلتوٍ[1].

المبحث الثاني: مناهج عدد من المفسرين في ذكر القراءات والاستعانة بها على التفسير:

لما كان ذكر القراءات والاستعانة بها على التفسير منهجا شائعا بين عموم المفسرين رأيت الاقتصار في هذا البحث على ذكر مناهج عدد من أعلامهم مع التمثيل لهذا المنهج عند كل منهم بأمثلة يسيرة خشية الإطالة، واللبيب تكفيه الإشارة.

المطلب الأول: الطبري ومنهجه في ذكر القراءات والاستعانة بها على التفسير:

هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ولد سنة ٢٢٤هـ، ورحل في طلب العلم، وبرع في التفسير والحديث والتاريخ والفقه، وكان زاهدا ورعا متواضعا، توفي في بغداد سنة ٣١٠هـ[2].

وتفسيره: "جامع البيان" من أهم كتب التفسير، جمع فيه بين المأثور والرأي والاجتهاد، وقد أثنى عليه العلماء، وجعلوه أحد مراجعهم الأساسية، ولما للطبري من وتفسيره من منزلة كبيرة لقب بشيخ المفسرين.

وكان الطبري عالما بالقراءات كما كان عالما بالتفسير، وله فيها مؤلف كبير[3]، وكان يورد القراءات في تفسيره ويستشهد بها على المعنى كما كان ينتقد بعض أوجه القراءة ويضعفها، وقد تفاوتت مواقف دارسي منهجه في عرض القراءات بين الدفاع عنه والاعتذار عن فعله، وتبيين أن ما أنكره ابن جرير من أوجه القراءة لم يصله متواترا ولذا لم يثبت عنده على أنه من الأوجه الصحيحة المقروءة فلا حرج عنده من رده أو تضعيفه[4]، وبين مهاجمته ونقده واتهامه والرد عليه[5]، وكان

---

١ للتوسع في الاطلاع على بعض المناهج المنحرفة في التفسير عند عدد من المفسرين المعاصرين، ينظر: أ- د. صلاح الخالدي، **تعريف الدارسين بمناهج المفسرين**، ص٥١٥-٥١٧، و٥٣٠ و٥٣١. ب- د. فضل عباس، **التفسير أساسياته واتجاهاته**، ص٦٦٥-٧٠٨. ج- د. مساعد الطيار، **مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير**، ص ٢٢٥ و٢٢٦.

٢ ينظر: د. صلاح الخالدي، **تعريف الدارسين بمناهج المفسرين**، ٣٤٢-٣٥٠.

٣ ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ٦٥/١٨.

٤ ينظر: أ- د. مساعد الطيار، **مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير**، ٣١٢-٣٢٠. ب- زيد مهاوش، **منهج ابن جرير الطبري في القراءات وضوابط اختيارها في تفسيره**.

٥ ينظر: أ- محمد عارف عثمان، **القراءات المتواترة التي أنكرها ابن جرير الطبري والرد عليه**، ط الأولى، ١٩٨٦م. ب- د. لبيب السعيد، **دفاع عن القراءات المتواترة في مواجهة الطبري المفسر**، دار المعارف، مصر.

الأولى بمهاجميه التريث وتتبع حال القراءات في عصره، والتأمل في عبارات الطبري أثناء تعليقه على القراءات، فلم يكن دائما يرد وينكر، كما أنه ليس أول من فعل ذلك ولا آخرهم، فلا وجه لتخصيصه بالنقد دون غيره.

وكان الطبري في ترجيحه بين القراءات يعتمد على المعنى اعتمادا كبيرا، فإن كان في إحدى القراءتين معنى زائد على القراءة الأخرى اختارها ورجحها[1]، أو إن كان المعنى في إحدى القراءتين أمكن أو يشمل القراءة الأخرى.

واعتمد بعد ذلك على استفاضة القراءة وانتشارها بين القراء، كما اعتمد على فصاحة القراءة وقوتها وشهرتها في لغة العرب، وموافقتها حكما شرعيا اتفق عليه، وعلى موافقة الرسم وموافقة السياق وموافقة قواعد النحو وما يدل عليه ظاهر القرآن، كما كان يرجح بناء على نظره واستدلاله وقوة عارضته في استنباط المعاني التي تظهر من خلال القراءة التي كان يرجحها.

وكان ترجيحه لبعض القراءات لمناسبتها رؤوس الآي كما في ترجيحه قراءة ﴿قَوَارِيرَا﴾ [الإنسان:١٥] بإثبات الألف على القراءة بحذفها[2] لمناسبة الفاصلة، وترجيحه قراءة: {نَاخِرَةً} [النازعات:١١] بالألف على قراءة: ﴿نَخِرَةً﴾ بلا ألف[3] لموافقة رؤوس الآي، وقد يرجح لأسباب سواها، كما كان ينقل اختيارات من سبقه وحججهم ويناقشها ويختار من بينها[4].

ومن الأمثلة على إيراد الطبري القراءات في تفسيره والاستشهاد بها على التفسير، واستخدامها لتوضيح المعنى وإثرائه، وتبيين كثرة الأوجه التي تنتج عن اختلاف القراءات ما يلي:

---

١ بين الاختيار والترجيح تداخل وتوافق من جانب، واختلاف من جانب آخر، فجانب التوافق هو اشتراكهما في قبول القراءة المختارة والراجحة والقراءة بها، واختلافهما في أن الترجيح يظهر منه التقليل من شأن القراءة المرجوحة (ينظر: يحيى أحمد جلال، **قواعد الترجيح والاختيار في القراءات عند الإمام مكي بن أبي طالب القيسي**، رسالة ماجستير، بإشراف أ.د. أحمد خالد شكري، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٦م، ص ١٥).

٢ قرأ نافع وابن كثير وشعبة والكسائي وأبوجعفر وخلف البزار بالتنوين، وقرأ أبو عمرو وابن عامر وحفص وروح بترك التنوين وكلهم يقف بالألف، وقرأ حمزة ورويس بترك التنوين ويقفان بلا ألف (ينظر: عبد الفتاح القاضي، **البدور الزاهرة**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الأولى، ١٩٨١م، ص ٣٣٢)

٣ قرأ بالألف شعبة وحمزة والكسائي ورويس، وقرأ الباقون بلا ألف (ينظر: عبد الفتاح القاضي، **البدور الزاهرة**، ٣٣٦).

٤ عبد الرحمن الجمل، **منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره**، رسالة ماجستير بإشراف أ.د. فضل عباس، الجامعة الأردنية، ١٩٩٢م، ص ١٧٨-٢٢٣.

في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران:١٨٠] ذكر القراءتين في ﴿يحسبن﴾ بالياء والتاء[١]، وبين المعنى على كل قراءة منهما، وأن كل قراءة أفادت معنى، فالتاء للخطاب، والياء للغيبة، وعلى كل قراءة منهما لا بد من تقدير في الآية يوضح المعنى، فعلى القراءة بالياء يكون التقدير: ولا يحسبن الباخلون البخل هو خيرا لهم، فاكتفى بذكر ﴿يبخلون﴾ عن البخل، وعلى القراءة بالتاء يكون التقدير: ولا تحسبن أيها المخاطب بخل الباخلين هو خيرا لهم[٢]، وكلامه في هذا الموضع في غاية الجودة والدقة.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام:٥٧] ذكر وجهي القراءة في {يقض} وهما: بالضاد المكسورة على أنه مضارع قضى، من القضاء بمعنى الحكم والفصل بالقضاء، والقراءة الثانية {يقص} بالصاد المشددة المضمومة[٣] على أنه مضارع قصّ من القصص، وذكر القراءة الشاذة المنسوبة لابن مسعود وهي: {وهو أسرع الفاصلين} مستشهدا بها على المعنى العام للآية، وبيّن معنى الآية على قراءة {يقض} وهو: "أن الله يقضي الحق فيهم وفيك ويفصل به بينك وبينهم فيتبين المحق منكم والمبطل، وهو خير من بيّن وميّز بين المحق والمبطل وأعدلهم، لأنه لا يقع في حكمه وقضائه حيف إلى أحد لوسيلة له إليه ولا لقرابة ولا مناسبة، ولا في قضائه جور لأنه لا يأخذ الرشوة في الأحكام فيجور، فهو أعدل الحكام وخير الفاصلين"[٤]، واكتفى بالإشارة إلى المعنى على قراءة {يقص} ولم يوضحه وهو: أنه يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره، ويحدث بالأنباء الصادقة لأن جميع ما أنبأ به فهو من أقاصيص الحق[٥]، كما قال سبحانه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف:٣].

---

١ قرأ حمزة بالتاء، وباقي العشرة بالياء (ينظر: د. محمد سالم محيسن، **المهذب في القراءات العشر**، ١/١٤٤).

٢ ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ٤/١٨٩.

٣ قرأ أبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف البزار {يقض} بالضاد مكسورة، وقرأ الباقون ﴿يقصُّ﴾ بالصاد مشددة مضمومة (ينظر: ابن الجزري، **النشر**، ٢/٢٥٨).

٤ الطبري، **جامع البيان**، ٥/٢١١.

٥ ابن أبي مريم، **الموضح**، ١/٤٧٢، ومحمد سيد طنطاوي، **التفسير الوسيط**، ص ١١٨ من تفسير سورة الأنعام.

المطلب الثاني: الزمخشري ومنهجه في ذكر القراءات والاستعانة بها على التفسير:

هو محمود بن عمر الزمخشري، ولد سنة ٤٦٧هـ، ونشأ في طلب العلم ورحل من أجله حتى أصبح إماما في النحو والأدب والبلاغة والتفسير، وكان على مذهب المعتزلة، توفي سنة ٥٣٨هـ[١].

وتفسيره الكشاف أحد أهم مراجع التفسير، ويعد رائد مدرسة التفسير البياني، ولأهمية هذا التفسير اعتمد عليه كثير من المفسرين الذين جاؤوا بعده، وجعلوه مرجعا أساسيا لهم كالبيضاوي والنسفي والنيسابوري وأبي السعود والآلوسي وغيرهم.

وكان للزمخشري اهتمام خاص بالقراءات في الكشاف، حيث كان يستشهد بها ويكثر من ذلك، وقد بلغ عدد مواضع ذكر القراءات عنده أكثر من ألفين وخمس مئة موضع، حوالي الربع منها ذكر فيه قراءات متواترة[٢].

وأغلب هذه المواضع كانت لذكر الاختلافات في الفرش، ولم يكن الزمخشري يمر بما يذكره من أوجه القراءة مرورا عابرا، فكان يقف معها في كثير من الأحيان معللا ومقارنا وموجها، وكان في الغالب لا يفرق بين المتواتر والشاذ[٣].

ووجهت سهام الطعن إلى الزمخشري لطعنه في عدد من القراءات واستخدامه عبارات لاذعة في حق قارئيها، فكان فعله هذا مدعاة لأن يُنقد في مقابل نقده، وبعبارات لا تقل قوة عن عباراته، وكان يتهم القراء باللحن والسهو والخطأ، وعلل بعضا من أوجه القراءة غير المرتضاة منه بأنها سهو أو وهم قاد إليه اتباع خط المصحف، أو ضعف دقة النظر عند القراء، ومن الأمثلة على ذلك ما علق به على قراءة سكون الراء في قوله تعالى: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ [البقرة:١٢٨] وهي قراءة متواترة قرأ بها ابن كثير ويعقوب وأبو عمرو[٤]: أنها لغة مسترذلة[٥].

---

١ د. صلاح الخالدي، **تعريف الدارسين بمناهج المفسرين**، ٥٣٢-٥٣٨.

٢ محمد محمود الدومي، **القراءات المتواترة في تفسير الزمخشري دراسة نقدية**، رسالة دكتوراه بإشراف أ.د. محمد علي حجازي، جامعة اليرموك، ٢٠٠٥م، ص ١٤١.

٣ محمد محمود الدومي، **القراءات المتواترة في تفسير الزمخشري دراسة نقدية**، ص ١٥٠ و١٥٥-١٥٦.

٤ ورد عن أبي عمرو روايتان هما الإسكان والاختلاس (ينظر: القباقبي، **إيضاح الرموز**، ص ٢٨٧).

٥ الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثانية، ٢٠٠١م، ٢١٤/١، وللوقوف على مزيد من الأمثلة من ذلك ينظر: ١٥٦/١ و٦٦/٢ و٢١٩ و٢٣٨ و٥١٧ و٣٣٧/٣ و٥٨٠ و٦٢٩ و٦٥/٤ و٦٦٧ وغيرها.

وكان لطعنه هذا في القراءات دوافع متعددة، منها ما يرجع إلى تعصبه لمذهب البصريين في النحو، ومنها ما يرجع إلى ترجيحه اللهجة الأفشى على اللهجة الأقل انتشارا، وكان لتعصبه لمذهب الاعتزال أثر كبير جعله يرجح أحيانا قراءات شاذة على متواترة[1].

ومع ذلك فقد كان الزمخشري بعد أن يذكر أوجه القراءة يبين المعنى بناء على ما يذكره من قراءات، كما كان أحيانا يرجح المعنى بناء عليها[2].

ومن الأمثلة عليه أنه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ [الروم:٣١و٣٢] بعد أن ذكر القراءتين، وهما: {فارقوا} بالألف و{فرّقوا} بتشديد الراء[3] ذكر المعنى على كل قراءة منهما فقال: "{فارقوا دينهم} تركوا دين الإسلام، وقرئ: {فرّقوا} بالتشديد أي جعلوه أديانا مختلفة لاختلاف أهوائهم"[4] ومع تفسيره وفق القراءتين أثبت مناسبة كل واحدة منهما لسياق الآيات الكريمة وعدم وجود تناقض واختلاف بينهما.

ومن الأمثلة أنه عند تفسيره قوله تعالى: "﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾ [آل عمران:١٣] ذكر أن معنى {يرونهم مثليهم} يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين أي قريبا من ألفين، أو مثلي عدد المسلمين أي ست مئة ونيفا وعشرين، وعلّق عليه بقوله: "أراهم الله إياهم مع قلتهم أضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم، وكان ذلك مددا لهم من الله كما أمدهم بالملائكة، الدليل عليه قراءة نافع: {ترونهم} بالتاء[5] أي ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي فئتكم الكافرة أو مثلي أنفسهم ..."[6] فهو هنا يستشهد بالقراءة الأخرى ليرجح المعنى الذي ذهب إليه في تفسير الآية الكريمة.

---

١ محمد الدومي، **القراءات المتواترة في تفسير الزمخشري دراسة نقدية**، ص ٣٨٨.

٢ محمد الدومي، **القراءات المتواترة في تفسير الزمخشري دراسة نقدية**، ص ١٨٨.

٣ قرأ حمزة والكسائي بالألف، والباقون بالتشديد (ينظر: القباقي، **إيضاح الرموز**، ص ٣٩١).

٤ الزمخشري، **الكشاف**، ٤٨٥/٣.

٥ قرأ بها نافع وأبو جعفر ويعقوب، وقرأ الباقون بالياء (ينظر: ابن الجزري، **النشر** ١٧٩/٢).

٦ الزمخشري، **الكشاف** ٣٦٩/١.

المطلب الثالث: ابن عطية ومنهجه في ذكر القراءات والاستعانة بها على التفسير:

هو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي الغرناطي، المولود بها سنة ٤٨١هـ، نشأ نشأة علمية وتعمق في التفسير والحديث والفقه والأدب وتولى القضاء لسنوات، وكانت وفاته سنة ٥٤١ هـ رحمه الله[١].

وتفسيره المحرر الوجيز من أمهات كتب التفسير حيث تميز بجودة الأسلوب وحسن العبارة والترتيب، وأثنى عليه علماء عصره ومن بعدهم، ونقل عنه كثير من المفسرين اللاحقين[٢].

وكان ابن عطية يذكر القراءات في تفسيره ويستشهد بها على المعنى ويوجهها ويحتج لها وبها، هذا هو الغالب في منهجه، وإن كان في مواضع قليلة نقل تضعيف قراءات متواترة مرتضيا ذلك التضعيف موافقا عليه، كما كان يرجح بين القراءات مخالفا بذلك رأي جمهور علماء القراءات[٣].

ومن أمثلة إيراده القراءات والاستعانة بها لتوضيح المعنى وتبيينه أنه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير:٢٤] ذكر وجهي القراءة بالضاد والظاء[٤]، وبين أن معنى القراءة الأولى بالضاد: بخيل أي يشح به ولا يبلغ ما قيل له، وأن معنى القراءة الثانية بالظاء: بمتهم، وتكون هذه القراءة في المعنى نظير وصفه بأمين، وقيل معناه: بضعيف القوة عن التبليغ[٥]، فهو هنا يذكر المعنى على كل قراءة ويبين المعاني المتعددة بسبب اختلاف القراءات.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة:٦] أورد القراءتين المتواترتين في لفظ: ﴿وأرجلكم﴾ بالنصب والجر، والقراءة الشاذة فيه بالرفع[٦]، وبيّن ما يترتب على كل قراءة من حكم شرعي مع ذكر أدلة الأقوال باستيعاب واستيفاء[٧].

---

١ محمد ماجد عياصرة، **ابن عطية والقراءات القرآنية في تفسيره المحرر الوجيز مع دراسة تطبيقية لسورة البقرة**، رسالة ماجستير بإشراف د. أحمد خالد شكري، الجامعة الأردنية ٢٠٠٢م، ص ٧-٢٥.

٢ محمد عياصرة، **ابن عطية والقراءات القرآنية في تفسيره**، ص ٨٢-٨٦.

٣ محمد عياصرة، **ابن عطية والقراءات القرآنية في تفسيره**، ص ٩٨-١١٢.

٤ قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ورويس بالظاء، والباقون بالضاد (ينظر: القباقبي، **إيضاح الرموز**، ص ٧٢٤).

٥ ابن عطية، **المحرر الوجيز**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٢٢هـ، ٤٤٤/٥.

٦ قرأ نافع وابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب بالنصب، وباقي العشرة بالجر، والحسن بالرفع (ينظر: القباقبي، **إيضاح الرموز**، ص٣٥٧).

٧ ينظر: اين عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ١٦٣/٢ و١٦٤، ومحمد عياصرة، **ابن عطية والقراءات القرآنية في تفسيره**، ص ١٢٩.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [البقرة:١٠٦] ذكر القراءتين المتواترتين في ﴿ننسها﴾[١] وبين أن القراءة الأولى من النسيان، والثانية من التأخير، كما ذكر أوجه القراءات الشاذة المتعددة في اللفظ، وأن مآلها إلى أحد هذين المعنيين[٢]، فكل قراءة هنا بمنزلة آية، لأن كل قراءة أفادت معنى مختلفا عن الآخر.

المطلب الرابع: الفخر الرازي ومنهجه في ذكر القراءات والاستعانة بها على التفسير:

هو فخر الدين محمد بن عمر الرازي، ولد سنة ٥٤٤هـ، ونشأ في كنف والده الذي كان يلقب بخطيب الري، وبرع في عدد من العلوم منها التفسير والكلام والعلوم العقلية وعلوم اللغة والفقه وأصوله، حتى عُد مجدد القرن السادس، وكانت وفاته سنة ٦٠٦هـ[٣].

وتفسيره من أحسن التفاسير لما حواه من معلومات قيمة، وعلوم متعددة مع حسن العبارة وجودة الترتيب، وأُخذ عليه كثرة الاستطراد وإيراد أقوال الفلاسفة والرد عليها[٤].

اعتنى الفخر الرازي بإيراد القراءات في تفسيره، وكانت طريقة عرضه لها متنوعة مما أنبأ عن سعة علمه وتعدد مصادره، وكان موقفه الغالب في تفسيره هو الدفاع عن القراءات المتواترة والرد على الطاعنين فيها، وإن كان في مواضع يسيرة نقل الطعن في القراءة دون أن يعقب عليه، ولما كان هذا الفعل مخالفا لموقفه المعتاد جرى البحث عن تعليله، ولعل أقرب ما وجه به أنه كان مجرد ناقل لهذه الطعون ونقله لها لا يعني موافقته عليها[٥].

وكان يختار من بين أوجه القراءة التي يذكرها ما يراه أولى بالقبول، ويعلّل ترجيحاته عادة بما يظهر سبب الترجيح، ومن ذلك أنه رجح قراءة: ﴿اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ [إبراهيم:٢] بالرفع على قراءة الجر[٦]، وهما قراءتان متواترتان، وذكر علة ترجيحه من وجوه[٧].

---

١ قرأ الكوفيون وابن عامر ونافع وأبو جعفر ويعقوب: {ننسها} نضم النون وكسر السين، وقرأ باقي العشرة: {ننسأها} بفتح النون والسين وبهمزة ساكنة بعدها (ينظر: القباقي، **إيضاح الرموز**، ص ٢٨٣).

٢ ابن عطية، **المحرر الوجيز** ١/٤٣٤-٤٣٧.

٣ سفيان موسى خليل، **القراءات القرآنية وتوجيهها في تفسير الرازي**، رسالة ماجستير بإشراف د. أحمد خالد شكري، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٣م، ص ٢٣-٤١.

٤ ينظر: الذهبي، **التفسير والمفسرون** ١/٢٩٤.

٥ سفيان خليل، **القراءات القرآنية وتوجيهها في تفسير الرازي**، ص ١٨٣ و١٥٥-١٥٧ وفيه تعليلات أخرى.

٦ قرأ بالرفع نافع وابن عامر وأبو جعفر وافقهم رويس إذا ابتدأ، وقرأ الباقون بالجر (ينظر: القباقي، **إيضاح الرموز**، ص٤٧٢).

٧ الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثالثة ١٩٩٩، ٧/٥٩.

وكان الفخر الرازي يستعين بالقراءات ويستند إليها في تفسيره وترجيحه بين الأقوال، ومن ذلك استشهاده بالقراءة الشاذة المنسوبة إلى عبد الله بن مسعود وهي: {وأرهم مناسكهم وتب عليهم} بدل: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا﴾ [البقرة:١٢٨] على أن الضمير في ﴿علينا﴾ لا يدخل فيه إبراهيم عليه السلام لأنه نبيّ معصوم غير محتاج إلى التوبة، ويكون المقصود بالضمير: المذنبين من ذريته، فكانت هذه القراءة الشاذة أحد أدلته في ترجيح عدم وجود ما يحتاج إلى توبة عند الأنبياء[١].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ [التوبة:١٢] ذكر القراءتين في لفظ: ﴿إيمانهم﴾ بكسر الهمزة لابن عامر، وبفتحها للباقين، وجعل اختلاف القراءات في هذا اللفظ مثريا للأوجه المتعددة في معنى الآية، فقراءة ابن عامر لها وجهان هما: أنه لا أمان لهم، وأنهم كفار لا دين لهم، وعلى هذه القراءة فالباعث على قتالهم هو الكفر، أو عدم الأمان لهم، بينما بينت القراءة الأخرى أن الباعث على قتالهم هو كونهم لا عهد لهم ولا ميثاق[٢]، فبيّن المعنى على كل قراءة، وإن لم يشر إلى إمكان الجمع بين القراءتين بأن الأولى تبين علة قتالهم، والثانية تصف حالهم حين قتالهم[٣].

المطلب الخامس: أبو حيان ومنهجه في ذكر القراءات والاستعانة بها على التفسير:

هو محمد بن يوسف الغرناطي المولد والنشأة، ولد سنة ٦٥٤هـ، ورحل في شبابه إلى مصر حيث استقر بها إلى أن توفي سنة ٧٤٥هـ، وكان عالما بالنحو والصرف واللغات والتاريخ والأدب والتفسير والحديث والفقه والقراءات، وله أكثر من ثمانين مؤلفا[٤].

وكان أبو حيان من أكثر المفسرين ذكرا للقراءات في تفسيره، ولم يكن يسير على طريقة واحدة في ذكرها، وكان في الغالب يذكر القراءة منسوبة إلى قارئها ويوجهها دون أن يفصل

١ الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، ٥٦/٢.

٢ الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، ٥٣٥/٥.

٣ ينظر: أ- ابن زنجلة، **حجة القراءات**، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، ١٩٩٧م، ص٣١٥. ب- د. محمد حبش، **القراءات المتواترة وأثرها في الرسم والأحكام**، ص٣٣٦. ج- سفيان خليل، **القراءات القرآنية وتوجيهها في تفسير الرازي**، ص ١٨٠.

٤ أحمد خالد شكري، **القراءات في تفسير البحر المحيط من أوله إلى آخر سورة الأنفال**، رسالة ماجستير بإشراف أ.د. محمد سالم محيسن، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٩٨٧م، ص ٣٩-٢٠١.

بين المتواتر والشاذ منها، ولم يكن يرجح بين القراءات المتواترة، وكان يردّ بشدة على المفسرين والنحاة إذا ضعفوا قراءة متواترة لمخالفتها قاعدة نحوية، أما القراءات الشاذة فكان يشير إلى ضعفها وينقل نقدها ويقبله ويحمل ما خالف الرسم منها على التفسير.

ومما يؤخذ على منهج أبي حيان في القراءات أنه كان أحيانا لا يستوعب أسماء جميع القراء عند ذكر القراءة، أو يخطئ في نسبتها إلى بعض القراء، ويترك ذكر بعض الأوجه في اللفظ، أو لا يضبطها بما يكفي، وكلها ملاحظات يسيرة لا تقلل من جودة عمله في تفسيره المحيط[1].

ولأن الهدف الأساس من ذكر القراءات في كتب التفسير هو الاستعانة بها عليه وتقريب المعنى وتوضيحه أو إثراؤه، فقد أبدع أبو حيان في هذا الجانب إبداعا ملحوظا يلمسه بوضوح من قرأ في هذا التفسير، فقد كان يذكر أوجه القراءة ويبين من خلالها معنى الآية ويوضحه ويظهر تنوع المعنى بها، ومن ذلك ما قاله عن قراءة ابن كثير بالياء في قوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:٧٤]: "يحتمل أن يكون الخطاب مع رسول الله ﷺ، ويحتمل أن يكون الخطاب مع بني إسرائيل، ويكون ذلك التفاتا إذ خرج من الخطاب في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ إلى الغيبة في قوله: ﴿تعملون﴾ وحكمة هذا الالتفات أنه أعرض عن مخاطبتهم وأبرزهم في صورة من لا يقبل عليهم بالخطاب وجعلهم كالغائبين عنه، لأن مخاطبة الشخص ومواجهته بالكلام إقبال من المخاطب عليه وتأنيس له، فقطع عنهم مواجهته لهم بالخطاب لكثرة ما صدر عنهم من المخالفات"[2].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ﴾ [البقرة:٢٣٣] أورد أوجه القراءة المتعددة فيها، وهي: {لا تضارُّ} بالتشديد مع الرفع، قرأ بها ابن كثير ويعقوب وأبو عمرو، {لا تضارْ} بالسكون مع التخفيف، قرأ بها أبو جعفر والحسن بخلاف عنهما، ﴿لا تضارَّ﴾ بالتشديد مع النصب، قرأ بها باقي العشرة، {لا تضارِّ} بالتشديد مع الكسر قرأ بها الحسن في وجهه الثاني[3]، {لا تضارِر} بكسر الراء الأولى وسكون الثانية، رويت عن ابن

١ أحمد شكري، **القراءات في تفسير البحر المحيط**، ص ٣٢١-٣٣٦.

٢ أبو حيان، **البحر المحيط**، ٢٦٧/١.

٣ تحرف اسم الحسن في النسخة المطبوعة من البحر إلى: "أبي جعفر" وهو غير واضح في المخطوطة، والتصحيح من السمين، **الدر المصون**، ٤٦٧/٢، وقد عدلت في نسبة أوجه القراءة عما في البحر، وفق ما ذكره القباقي في **إيضاح الرموز**، ص ٣٠١، وما في **معجم القراءات القرآنية**، ١٧٨/١ و١٧٩.

عباس، {لا تضارَر} بفتح الراء الأولى وسكون الثانية، رويت عن ابن مسعود، {لا تضارُّ} بالتشديد مع السكون، ثم ذكر توجيه هذه القراءات على أن الفعل يحتمل أن يكون مبنيا للفاعل أو مبنيا للمفعول، وتحتمل لا أن تكون للنفي أو للنهي، وهذا الاختلاف في القراءات أدى إلى اختلاف المعنى، فعلى بناء الفعل للفاعل يكون ارتفاع ﴿والدة﴾ و﴿مولود﴾ على الفاعلية، والمفعول محذوف تقديره: لا تضارِر والدة زوجها بأن تطالبه بما لا يقدر عليه من رزق وكسوة وغير ذلك من وجوه الضرر، ولا يضارِر مولود له زوجته بمنعها مما وجب لها من رزق وكسوة وأخذ ولدها مع إيثارها إرضاعه وغير ذلك من وجوه الضرر، ويجوز أن يكون المفعول المحذوف تقديره: الصبي، أي لا يضارِر كل واحد منهما الصبي فلا يترك رضاعه حتى يموت ولا ينفق عليه الأب أو ينزعه عن أمه حتى يضر بالصبي... "[1] إلى آخر كلامه في تبيين الفروق بين أوجه القراءة واختلاف المعنى بناء عليه.

وكان أبو حيان يرى أن القراءة الشاذة المخالفة للرسم هي قراءة تفسيرية قطعا، وكان غالبا ما يشير إلى ذلك ويؤكده عند ذكر قراءة من هذا النوع، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ [البقرة:٣٦]: "وحكوا أن عبد الله قرأ: {فوسوس لهما الشيطان عنها} وهذه القراءة مخالفة لسواد المصحف المجمع عليه، فينبغي أن يجعل تفسيرا، وكذا ما ورد عنه وعن غيره مما خالف سواد المصحف"[2]، فهو يرى أن تبديل الكلمة بغيرها هنا كان تفسيرا من ابن مسعود للفظ فأزلهما بوسوس لهما.

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [البقرة:٢١٣] استدل بقراءتين شاذتين مخالفتين للرسم على التفسير، فقال: "وقد رجح كونهم أمة واحدة في الإيمان بقوله: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ﴾ وإنما بعثوا حين الاختلاف، ويؤكده قراءة عبد الله: {أمة واحدة فاختلفوا} وبقوله: ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ فهذا يدل على أن الاتفاق كان حصل قبل البعث والإنزال، وبدلالة العقول إذ النظر المستقيم يؤدي إلى الحق... وفي قراءة أبيّ: {كان البشر} إشارة إلى أنه لا يراد بالناس معهودون"[3].

---

١ ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ٢/٢١٤-٢١٦.

٢ أبو حيان، البحر **المحيط**، ١/١٦١.

٣ أبو حيان، **البحر المحيط**، ٢/١٣٥.

المطلب السادس: الآلوسي ومنهجه في ذكر القراءات والاستعانة بها على التفسير:

هو محمود بن عبد الله الآلوسي البغدادي، ولد سنة ١٢١٧هـ، وتلقى العلم على كبار علماء عصره وتولى منصب الإفتاء وأوقاف المدرسة المرجانية التي كان يشترط في متوليها أن يكون أعلم أهل البلد، له العديد من المؤلفات، توفي سنة ١٢٧٠هـ[١].

وتفسيره روح المعاني من كتب التفسير المتوسعة التي حوت كثيرا من أقوال من سبقه مع التحقيق الترجيح والمناقشة، ويعد بحق موسوعة تفسيرية متكاملة[٢].

وتبعا لمنهج الآلوسي المتوسع في التفسير كان لا بد له أن يذكر جميع أوجه القراءات الواردة في اللفظ المفسر ويوجهها ويرجح أو يبين المعنى بناء عليها، وهذا ظاهر جدا في تفسيره، ويمكن التمثيل له بالعديد من المواضع التي وظف فيها القراءات لخدمة التفسير وبيان المعنى، ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:١٤٤] أورد القراءتين في لفظ: ﴿يعملون﴾ بالتاء والياء[٣] وبيّن أن القراءة بالياء تحمل على الوعيد لأهل الكتاب، والقراءة بالتاء وعد للمؤمنين المخاطبين في الآية، ثم ذكر احتمال أن يكون الضمير على القراءتين لجميع الناس، فيكون وعدا ووعيدا للفريقين من المؤمنين والكافرين[٤]، وهنا نرى كيف وظف الآلوسي تعدد القراءات ليكون في تعددها تعدد المعاني.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة:١٦٥] ذكر أن جواب ﴿لو﴾ على قراءة: ﴿ولو يرى﴾ بالياء محذوف للإيذان بخروجه عن دائرة البيان، أي لوقعوا من الحسرة والندامة فيما لا يكاد يوصف، أما على قراءة نافع وابن عامر ويعقوب: {ولو ترى} على أن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أو

١ هاني خليل عابد، **التفسير الإشاري في تفسير الإمام الآلوسي**، رسالة ماجستير بإشراف د. أحمد نوفل، الجامعة الأردنية ٢٠٠٣م، ص ٧-١٤، ود. صلاح الخالدي، **تعريف الدارسين**، ص ٤٥٩.

٢ ينظر: الذهبي، **التفسير والمفسرون**، ٤٦٠/١.

٣ قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو جعفر وروح بالتاء، والباقون بالياء (ينظر: عبد الفتاح القاضي، **البدور الزاهرة**، ص ٤٢).

٤ ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الأولى، ٢٠٠٠م، ١٦/٢.

لكل من يصلح للخطاب فالجواب المقدر حينئذ: لرأيت أمرا لا يوصف من الهول والفظاعة[1]، وهو هنا يبين اختلاف الجواب المقدر بسبب اختلاف القراءة مما يثري المعنى.

وقد يستشهد الآلوسي بقراءة يذكرها بعد أن يبين المعنى الذي يراه راجحا، لتقوية وتأييد المعنى الذي رجحه، ومن ذلك أنه بعد أن فسر قوله تعالى: ﴿فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة:١٩٧] وفق قراءة الجمهور، أورد قراءة ابن كثير وأبي عمرو مستدلا بها على صحة المعنى الذي ذكره[2].

المطلب السابع: ابن عاشور ومنهجه في ذكر القراءات والاستعانة بها على التفسير:

هو محمد الطاهر بن عاشور، من بيت آل عاشور الأشراف الأندلسيين، ولد في تونس سنة ١٨٧٩م، ونشأ في طلب العلم وظهرت عليه علامات النبوغ والذكاء ومهر في عدة علوم، وشارك في مقاومة الاستعمار الفرنسي، وتولى مشيخة جامع الزيتونة وشيخ الإسلام المالكي، توفي سنة ١٩٧٣م[3].

وتفسيره التحرير والتنوير يعد من أحسن التفاسير المتأخرة، حيث اهتم فيه ببيان اللغة والبلاغة والإعجاز والعلوم الشرعية والاجتماعية والتاريخية، وكان أكثر اهتمامه بدقائق البلاغة ونكات الإعجاز، كما حرص على أن يشتمل تفسيره على إضافات جديدة وإبداعات قيمة لم يسبق إليها، فجمع بين القديم والجديد بأسلوب جميل فريد[4].

وخلافا لمعظم المفسرين المتأخرين كان ابن عاشور يذكر القراءات في تفسيره ويستعين بها على تبيين المعنى وتوضيحه، وخصص للحديث عن القراءات وأهميتها للمفسر المقدمة السادسة من تفسيره، التي ذكر فيها عدة فوائد منها تبيين حالتي القراءات مع التفسير وهما: ما ليس له علاقة بالتفسير، وما له به تعلق من جهات متفاوتة[5].

---

١ ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ٥٢/٢، وفي نسبة القراءتين ينظر: عبد الفتاح القاضي، **البدور الزاهرة**، ص ٤٣.

٢ ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ٢٢٠/٢ و٢٢١، وجهاد محمد فيصل النصيرات، **الاتجاه البياني في تفسير الآلوسي من خلال سورة البقرة**، رسالة دكتوراه بإشراف أ.د. فضل حسن عباس، جامعة اليرموك، ٢٠٠٥م، ص٢٦٤.

٣ جمال محمود أبو حسان، **تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير دراسة منهجية ونقدية**، رسالة ماجستير بإشراف أ.د. فضل عباس، الجامعة الأردنية، ١٩٩١م، ص ١-١٩.

٤ عماد طه الراعوش، **علوم القرآن عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير دراسة ونقد**، رسالة دكتوراه بإشراف أ.د. عبد الباسط بلبول، جامعة اليرموك، ٢٠٠٦م، ص ٤٤-٥٠.

٥ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ٥١/١.

ومما يحمد لابن عاشور وقوفه مع جمهور العلماء المدافعين عن القراءات في وجه الطاعنين والمضعّفين[1]، ومما يؤخذ عليه سهوه في نسبة أوجه القراءة كما في المثالين التاليين.

ومن أمثلة إيراده القراءات والاستعانة بها على التفسير ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف:٥٧] حيث ذكر أوجه القراءة في لفظ {نشرا} والمعنى على كل منها، وبدأ بقراءة: {نُشُرا} بضم النون والشين ونسبها لنافع وأبي عمرو وابن كثير وأبي جعفر[2]، "على أنه جمع نَشور، وهو فعول بمعنى فاعل، والنشور الريح الحية الطيبة لأنها تنشر السحاب أي تبثه وتكثره في الجو، كالشيء المنشور، ويجوز أن يكون فَعولا بمعنى مفعول، أي منشورة، أي مبثوثة في الجهات متفرقة فيها، لأن النشر هو التفريق في جهات كثيرة، ومعنى ذلك أن ريح المطر تكون ليّنة، تجئ مرة من الجنوب ومرة من الشمال، وتتفرق في الجهات حتى ينشأ بها السحاب ويتعدد سحابات مبثوثة،... وقرأه ابن عامر: {نُشْرا} بضم النون وسكون الشين وهو تخفيف نُشُر الذي هو بضمتين كما يقال: رُسْل في رُسُل، وقرأ حمزة والكسائي وخلف بفتح النون وسكون الشين على أنه مصدر، وانتصب إما على المفعولية المطلقة لأنه مرادف لأرسل بمعناه المجازي، أي أرسلها إرسالا أو نشرها نشرا، وإما على الحال من الريح أي ناشرة أي السحاب، أو من الضمير في أرسل أي أرسلها ناشرة أي محييا بها الأرض الميّتة، أي محييا بآثارها وهي الأمطار، وقرأه عاصم بالباء الموحدة في موضع النون مضمومة وبسكون الشين وبالتنوين وهو تخفيف بُشُرا بضمهما على أنه جمع بشير مثل نُذُر ونذير، أي مبشرة للناس باقتراب الغيث.

فحصل من مجموع هذه القراءات أن الرياح تنشر السحاب، وأنها تأتي من جهات مختلفة تتعاقب فيكون ذلك سبب امتلاء الأسحبة بالماء، وأنها تحيي الأرض بعد موتها، وأنها تبشر الناس بهبوبها، فيدخل عليهم بها سرور"[3].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف:٥٧] قال: "وقرأ نافع وابن عامر والكسائي وأبو بكر عن عاصم[4] وأبو جعفر

١ جمال أبو حسان، **تفسير ابن عاشور**، ١١٥-١١٩.

٢ ويعقوب (ينظر: القباقي، **إيضاح الرموز**، ص ٣٩٧).

٣ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ١٧٩/٧ و١٨٠، وفي موضع الفرقان: ٤٨ (٤٧/١٩) ذكر مختصر هذه العبارات وأحال إلى هذا الموضع.

٤ ذكر أبي بكر عن عاصم هنا سهو من المفسر إذ قراءته كحفص بكسر الصاد (ينظر: القباقي، **إيضاح الرموز**، ص ٦٤٨، وعبد الفتاح القاضي، **البدور الزاهرة**، ص ٢٩٠).

وخلف: {يصُدون} بضم الصاد من الصدود إما بمعنى الإعراض، والمعرض عنه محذوف لظهوره من المقام أي يعرضون عن القرآن لأنهم أوهموا بجدلهم أن في القرآن تناقضا، وإما على أن الضم لغة في مضارع صد بمعنى ضجَّ مثل لغة كسر الصاد وهو قول الفراء والكسائي، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وحفص عن عاصم ويعقوب بكسر الصاد وهو من الصد بمعنى الضجيج والصخب، والمعنى: إذا قريش قومك يصخبون ويضجون من احتجاج ابن الزبعرى بالمثل بعيسى في قوله معجبين بفلجه وظهور حجته لضعف إدراكهم لمراتب الاحتجاج"[1].

ففي هذين المثالين نرى كيف استعان ابن عاشور باختلاف القراءات على توضيح المعنى وتبيينه وذكر المعاني المتعددة باختلاف أوجه القراءة.

وبهذا يتبين لنا أهمية إيراد القراءات التي لها أثر في المعنى في كتب التفسير، ودورها الكبير في إظهار المعنى وتبيينه وفي تكثير المعاني المتعددة بسبب اختلاف القراءات، كما يتبين لنا تفاوت مذاهب المفسرين القدامى والمحدثين من هذا الأمر، وما تزال الحاجة ماسة إلى دراسة أوسع تتتبع كتب التفسير، وتستخرج منها مناهجها في ذكر القراءات وتبين فوائد إيراد القراءات فيها، وأهميتها في التفسير وتوضيح المعنى.

والحمد لله أولا وآخرا، وصلى الله وسلم وبارك على نبيه المصطفى وآله.

١ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ٢٣٨/٢٥، وكان في المقدمة (٥٥/١) ذكر هاتين القراءتين مستدلا بهما على اختلاف المعنى لاختلاف القراءة.